التأصيل التاريخي للعلاقات التركية المغربية (انقلاب 15 يوليو نموذجا).

علاء الأغبري

جامعة الاناضول كلية الآداب قسم اللغة التركية وآدابها

ليست الانقلابات العسكرية شيئا جديدا على تركيا الحديثة، فقد شهدت أول انقلاب عسكري في 27 مايو 1960 بقيادة الجنرال جمال جورسيل على حكومة رئيس البلاد جلال بايار، وكان الانقلاب ناجحا. أما الانقلاب الثاني فقدكان في 12 مارس 1971، وعُرف باسم "انقلاب المذكّرة"، وهي مذكّرة عسكرية أرسلها الجيش بدلا من الدبابات، وفي 12 سبتمبر 1980 حصل انقلاب "كنعان إيفرين"، الذي أعقبته حالة قمع سياسي غير مسبوقة، وهو من أشهر الانقلابات في التاريخ التركي لما تبعها من قمع ودموية أشد من سابقيها، وبالدستور الذي قدم للاستفتاء الشعبي في 7 نوفمبر 1982، أصبح "إيفرين" رسميا الرئيس السابع للجمهورية التركية.

الانقلاب الثالث شهد دموية أقل، إذ أصدر الجيش مذكرة 1997 العسكرية أو عملية 28 فبراير وتسمى أيضا "ثورة ما بعد الحداثة"، متضمنة القرارات الصادرة عن قيادة القوات المسلحة التركية في اجتماع مجلس الأمن القومي يوم 28 فبراير 1997، والتي عجلت باستقالة رئيس الوزراء نجم الدين أربكان من حزب الرفاه وإنهاء حكومته الائتلافية، وتزعم هذا الانقلاب الأميرال التركي سالم درفيسوجلو.

بعد تأسيس حزب العدالة والتنمية التركي، حقق فوزا كاسحا في انتخابات 2002 بزعامة رجب طيب أردوغان. هذا الاكتساح السياسي، كان بمثابة إشارة من الشعب التركي الذي مل من حكم العسكر غير مضمون النتائج، والذي ما يكاد يخرج البلاد من أزمة سياسية حتى يدخلها أخرى، وطبعا فهذه الأزمات كانت تؤثر حتى على القطاع الاقتصادي، مما كان يوقف عجلة التطور والتنمية التركية.

لقد عمل حزب العدالة والتنمية على تحقيق نهضة شاملة في تركيا، ونقلها إلى مصاف الدول المؤثرة اقتصاديا وسياسيا بجانب القوى الكبرى، الأمر الذي عزز صدارة حزب العدالة والتنمية في تركيا، وجعلت أردوغان يفوز في انتخابات الرئاسة ليتوج رئيسا للبلاد، ويواصل المسار التنموي لتركيا الحديثة. إلى أن شهدت البلاد انقلابا عسكريا في يوليو الحالي، والذي لا زالنا نعيش أطواره، بعد إعلان الرئيس التركي فشله وإحالة المتورطين فيه على القضاء.

لقد كان الانقلاب في تركيا ، حدثا تفاعلت معه كل شعوب العالم وخصوصاً الشعب المغربي حبث عزا ذلك الباحث في علم الاجتماع السياسي، الدكتور رشيد الجرموني، اهتمام المغاربة، والشباب خاصة، بالتجربة التركية إلى كونها متميزة في العالم الإسلامي دشنت لتمازج بين الإسلام والديمقراطية، فضلا عن التشابه الحاصل بين حزبي العدالة والتنمية في كل من تركيا والمغرب.

ونحن نعزو ذلك الى وجود ارث تاريخي قديم ما بين المغرب والدولة العثمانية حيث امتدت العلاقة بين الدولتين لعدة قرون، أي منذ أوائل القرن 16 حتى القرن 19 عندما استعمرت فرنسا شمال افريقيا .

هنا سنستدل بشواهد من التاريخ، فعندما سقطت دولة الأندلس، استقبل المغرب مئات الآلاف من الأندلسيين المهجرين من بلادهم، واستقروا في البلاد وصاروا مغاربة مع مرور الزمن. وتركيا استقبلت بدورها مئات الآلاف من الأندلسيين المهجرين الذين صاروا بعد ذلك أتراكا مثل غيرهم.

وقبل أن تسقط الأندلس، كان الأندلسيون يتوقعون أن تأتيهم النجدة من بلدين لا غير، المغرب أو تركيا، ففي تركيا كانت الخلافة الإسلامية تبدو مثل «الرجل الخارق» لا يقف في طريقها شيء، وفي المغرب كان السلاطينيتدثرون بالشرعية التاريخية والدينية ويبسطون نفوذهم الروحي والجغرافي على أجزاء واسعة من المنطقة.هناك جانب آخر متعلق بالأندلس تشترك فيه تركيا والمغرب؛ فعندما بدأ الأندلسيون أعمال الجهاد البحري (القرصنة) في البحر المتوسط، كانت أبرز نقاط القوة هي سفن الأتراك، وأيضا سفن الأندلسيين المغاربة المتمركزين في سلا والرباط ، وبالضبط في ساحل «الوداية» على مصب أبي رقراق.

هؤلاء «القراصنة» حوّلوا البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة مغربية تركية بامتياز، ووصلت أنشطتهم حتى بحار بعيدة، من بينها المحيط الأطلسي وشواطئ شمال أوربا والمناطق الأسكندنافية.

التشابه الآخر بين البلدين يتمثل في كون تركيا كانت إمبراطورية ممتدة الأطراف لا تكاد تغرب عنها الشمس، وحكمت أطرافا شاسعة من ضفتي المتوسط شمالا وجنوبا، لكن مساحتها تقلصت كثيرا بعد أن غربت شمس الإمبراطورية بعد سقوط الخلافة. والمغرب كان بدوره إمبراطورية يمتد نفوذها من الأندلس حتى حدود الصحراء الكبرى، وفي النهاية تقلصت مساحته كثيرا بسبب الاستعمار، وأيضا بسبب أخطاء كارثية لبعض المسؤولين السياسيين المغاربة.

التشابه الجغرافي بين البلدين:على الرغم من تواجد تركيا في أقصى الشرق والمغرب في أقصى الغرب، لكنهما يتشابهان في أشياء كثيرة، في التاريخ وفي المزاج وفي القرب الجغرافي من أوربا وفي أحداثقريبة وبعيدة.تركيا تطل على بحرين، البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، وهي على مرمى حجر من أوربا وبوابة آسيا نحو أوربا ونافذة أوربا على آسيا. هذا بالضبط موقع المغرب جغرافيا، فهو موجود على بحرين، المتوسط والأطلسي، وعلى مرمى حجر من أوربا وبوابة إفريقيا نحو أوربا ونافذة أوربا على إفريقيا.

القرب الجغرافي لتركيا من أوربا ربط البلاد بأحداث كثيرة مع القارة العجوز، مثلما حدث تماما مع المغرب؛ فالقائد المغربي، طارق بن زياد، عبَر مضيق جبل طارق وحوّل شبه الجزيرة الإيبيرية إلى دولة مسلمة استمرت حية على مدى ثمانية قرون؛ والقائد التركي محمد الفاتح فتح القسطنطينية وامتدت تركيا نحو أجزاء واسعة من أوربا. لكن من صدف التاريخ الماكرة أنه في الوقت الذي كانت فيه الأندلس تتفكك خيطا خيطا، كان الأتراك يزحفون على أوربا شرقا.

تركيا لا تتشابه مع المغرب فقط في التاريخ والجغرافيا، فهناك تشابه أيضا في بعض الملامح السياسية؛ ففي تركيا حزب حاكم اسمه «العدالة والتنمية»، وفي المغرب حزب يسير قد بلغ سدة الحكم اسمه أيضا «العدالة والتنمية.« كان في تركيا رئيس وزراء صلب وقوي، اسمه رجب طيب أردوغان، وفي المغرب رئيس حكومة، اسمه عبد الإله بنكيران، . رجب التركي وصل إلى الحكم بالأغلبية المطلقة، ولا يبدو أنه سيغادر السلطة قريبا لأن الشعب يسْنده، وبنكيران في المغرب وصل إلى السلطة بعد انتخابات منحته الأغلبية المُقْلقة، ويستعد لخوض غمار انتخابات جديدة ستعقد في شهر أكتوبر 2016، والتي يبدو من خلالها عبد الإله بنكيران في طريقه لولاية حكومية ثانية كما كشفت استطلاعات رأي عديد من المواقع والمنابر الإعلامية بالمغرب.

أردوغان تركيا حقق معدلات نمو قياسية للبلاد، ثم قص أجنحة العسكر يوما بعد يوم، بل واستطاع أن يقدم بعض الانقلابيين منهم إلى محاكم مدنية، فانتهت سطوة العسكر إلى الأبد، أو هكذا يبدو؛ وفي المغرب وعد بنكيران برفع الحد الأدنى للأجور إلى ثلاثة آلاف درهم هذه السنة، وعندما نجح اعتذر عن «هفوته» وقال إن وعده سيتحقق سنة 2016، فالعجلة من الشيطان والعياذ بالله.على هذا الأساس، يبدو أن المغرب وتركيا يتشابهان كثيرا في التاريخ والجغرافيا، ويتشابهان سياسيا في شيئين لا ثالث لهما:

التشابه الأول في اسم الحزبين الموجودين في السلطة، والتشابه الثاني بين أردوغان وبنكيران، فكلاهما له ألف ونون في نهاية الاسم.

اثناء الانقلاب:

بعد كل هذ السرد التاريخي والتشابه العميق ما بين البلدين نستطيع ان نقول ان الشعب المغربي عاش ليلة عصيبة اشبه بتلك الليلة التي عاشها الشعب التركي في شوارع اسطنبول وانقرة .تفاعل الشعب المغاربي مع الانقلاب وكانت مواقع التواصل الاجتماعي تشهد حملة موسعة من قبل نشطاء وصحفيين مغاربة ، بل ان عامة الشعب كانوا ضمن هذه الحملة الَتِي ترفض الإنقلاب وتندد به.

كانت صور البروفايل الخاص بالفيس للمغاربة اما علم تركيا او خارطتها او صور الرئيس اردوغان لقد كان الشعب المغربي يتابع الساعات الاولى من محاولة الانقلاب والايادي على القلوب والألسن تلهج بالدعاء والاعين تسكب دموعها.

يعي الشعب المغربي أن الشعوب التواقة للحرية والشعوب الواعية تعرف أن الحس الديمقراطي لكل شخص سيرفض كل عمل انقلابي ضد الإسلاميين أو اليساريين،بل أن اليساريين واليمينيين وكذا الإسلاميين والعلمانيين بتركيا أجمعوا على رفض الانقلاب ليس إلا دعما للمسار الديمقراطي.

جلالة الملك محمد السادس ملك المغرب بدوره كان من السباقين للوقوف بجانب رئيس الجمهورية التركية رجب طيب أردوغان، حيث كان الموقف واضحا من المملكة برفضها للانقلاب. المملكة المغربية كانت من أوائل الدول التي ساندت حكومة العدالة والتنمية بتركيا، ورئيس البلد.

وأكثر من ذلك، فقد ضحى الشعب المغربي بدمه من أجل إفشال هذا الانقلاب، متمثلا في شاب مغربي استشهد أثناء ليلة الانقلاب سعيا لتثبيت الشرعية لدى الرئيس الذي اعتلى سدة الحكم عبر صناديق الاقتراع. جنازة الشاب بالمغرب، شهدها السفير التركي بالمملكة المغربية الذي أخلص العزاء لأسرة الشهيد، وأكبر في أمثال هؤلاء من الشعب المغربي تفانيهم ووقوفهم بجانب الحكومة الشرعية لجمهورية تركيا.

اعلان فشل الانقلاب :

وأنتصر الشعب التركي انتصرت الديموقراطية هكذا كانت ردود افعال الشارع المغربي حيث اختلطت دموع الحزن بدموع الفرح وعلت اصوات التكبيرات والهتافات الشعبية والوطنية أزقة وأحياء العاصمة الرباط وسائر مدن المملكة.

حيث قام عدد كبير من المغاربة، بنشر صور الرئيس التركي، رجب طيب اردوغان، على الفايسبوك، وصور متنوعة، تظهر مواقف بطولية، للشعب التركي، وهو يخرج للشارع، والساحات، لمواجهة الانقلاب العسكري، بعد ساعات قليلة من بدأ سيطرته على مجموعة من مؤسسات الدولة الحساسة.
المغاربة صاحبوا الصور، بعبارات المدح والثناء على هذا الشعب، على حماية بلده وديموقراطيته، التي اختارها بنفسه، ودافع عنها ببسالة، حيث استجاب لنداء الرئيس، الذي دعى الشعب عبر اتصال باحدى القنوات، للخروج ومقاومة هذا الإنقلاب.

ما بعد الانقلاب :

إن وعي المغاربة بأهمية الديمقراطية، ومساندتهم للشرعية والإرادة الشعبية في تركيا في خضم الانقلاب العسكري الفاشل، هو وعي من المؤكد أنه سينسحب أيضا على نظرتهم إلى السياسة والديمقراطية في المغرب، وسيحفزهم الوقوف البطولي للشعب التركي في وجه الانقلاب العسكري، على المزيد من المطالبة بتعزيز الشرعية والإرادة الشعبية في المغرب.

كما علقت الناشطة فردوس في موقع التواصل الأجتماعي قائلة: أعطونا درسا أن للإتحاد قوة عظيمة وعلى مايبدوا لي أنهم حقا شعب يستحق الإحترام والتقدير، هم ورئيسهم .

في سياق متصل، اختلف الشباب المغربي حول ما حصل في تركيا وتبعاته على العالم العربي، يشير طارق الذي يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين سنة وينتمي إلى شبيبة حزب العدالة والتنمية المغربي إلى أن ما تم في تركيا هو استمرار لمحاولة الثورة المضادة في تقويض المسار الديمقراطي بالعالم العربي، ويقول: "لقد شكل خروج الناس للشوارع دفاعا عن الديمقراطية ومواجهة الجيش بسلمية حلقة مفصلية في المشهد السياسي، فقد تصدر الشباب طلائع المحتجين للمحاولة الانقلابية، كما تميز الحدث بالموقف التاريخي للمعارضة التركية التي اختارت الديمقراطية بديلا عن مكاسب غير دستورية ممكن أن تحصل عليها من طرف الجيش .

إجمالا، لقد كان للحدث التركي النصيب الأكبر من الاهتمام العربي والمغربي خاصة، فما حدث أظهر ضرورة وجود عقد اجتماعي بين السلطة والشعب، كما أن الاستقرار السياسي رهين بوجود مؤسسة الديمقراطية القائمة على الحرية، العدالة والكرامة والقابلة للتعايش بين الأفكار، فلقد صارت السياسة تفاعلاً بين سلطة ذات قدرة على الإدارة والتدبير وشعب صاحب إرادة وصدق التعبير.

ختاما اقول أن الشعوب التي ترضع الحرية حولين كاملين مع حليب الأم هي من تحطم قيود العبودية والدكتاتورية.

سلام على ارض وشعب ودولة كانوا كالبنيان المرصوص تحطم الانقلاب خلف اسواره.

سلام على شعب حين قال له قائده اني قد دعوتكم الى ميادين الحرية فانزلوا وكونوا لديموقراطيتكم من الحافظين.

رد عليه الشعب قائلاً يا الله بسم الله الله اكبر.هذه دبابات واليات الانقلابيين قد اوقفناها وكنا لها من المانعين.

المراجع

1- الويكيبيديا الموسوعة الحرة . (التاريخ المغربي والتركي).
2- صحيفة هسيبريس الالكترونية المغربية . مقالة (الانقلاب الفاشل .. رسائل من تركيا إلى المغرب).
3- مغرس محرك البحث الاخباري في المغرب . مقالة (تركيا والمغرب.. تشابه واختلاف).
4- صحيفة "ديلي صباح" التركية. (المغرب وتركيا قوتان للاستقرار في العالم العربي الإسلامي).